

الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع

• د. نشوان عبده خالد¹

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مسألة من المسائل الهامة التي تُشكّل على الكثير من الناس فضلاً عن طلبة العلم، وهي مسألة التمييز بين الأحرف السبعة والقراءات السبع، وما يتفرع عنها من اللبس الحاصل عند البعض في القبول بسماع قراءة أخرى لدرجة الاستنكار بالرغم من تواتر تلك القراءة ونهي العلماء عن التفضيل بينها وبين قراءة أخرى متواترة.

ويسلك الباحث في بحثه هذا طريقةً متميزة يتناول من خلالها الأحرف السبعة والقراءات السبع تعريفاً وتحليلاً يجلي الأمر ويكشف الإشكال في قوالب واضحة، وفروق بارزة، وتوضيحات تزيل اللبس، وترفع الإشكال، كما يبرز جوانب الاتفاق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع، ثم أبرز جوانب الاختلاف؛ وذلك زيادة في التوضيح، وإحاطة بالمسألة من أطرافها، ومن جميع جوانبها المختلفة والمتشعبة.

ويعتمد الباحث المنهج الاستقرائي للكشف عن الأقوال المختلفة والمتعددة في الأحرف السبعة والقراءات السبع، من خلال تتبع الأقوال وإيضاحها، وإيراد الراجح منها، ثم المنهج التحليلي الاستنباطي وذلك من خلال استنباط جوانب الاتفاق والاختلاف وإيضاحها في نقاط يسهل حفظها وفهمها، مع التحليل للأقوال المتقدمة وكشف الغموض عنها.

ومن أهم النتائج التي يتوقع الباحث الوصول إليها أن من أبرز الفروق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع أن الأحرف السبعة أعم وأشمل وأوسع مفهوماً ومدلولاً من القراءات السبع، وغير ذلك من النتائج.

¹ الدكتور/ نشوان عبده خالد، محاضر في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، إيميل: (nashwan@iiu.edu.my).

متخصص في دراسات القرآن الكريم.

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل القرآن للناس هدى ورحمة، واصطفى لحمله من شاء من عباده، ورفع منزلة أهل القرآن فجعلهم أهله وخاصته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن القرآن الكريم بما يتضمن بين ثناياه من الآيات البينات، والدلالات الواضحات، يعدُّ دستور المسلمين الأول، ومصدر القوة والعزة، وتأتي بعده سنة النبي ﷺ بما حوت من الخير العظيم، والنفع العميم، وإن من نعم الله سبحانه وتعالى أن جعل تنزل القرآن الكريم على سبعة أحرف تضمنت القراءات المتواترة بمجموعها وفي ذلك كمال التيسير، وشمول الرحمة والتوسعة.

لقد كان من حكمة الله تعالى ورحمته بالخلق أن جعل تنزل القرآن الكريم بما يتوافق مع واقع البشرية، من تعدد اللغات، واختلاف اللهجات، فأنزل سبحانه القرآن الكريم باللغة العربية التي هي أفضل اللغات، فكانت طريقاً لفهم معانيه، يقول ابن عاشور: "إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربي بالسليقة"².

والقرآن والأحرف السبعة والقراءات حقائق متغايرة لكلٍ منها مفهومه ومقصده وحكمته التي أرادها الله سبحانه وتعالى، وليس المقام هنا لإبراز تلك المقاصد والغايات، فالأحرف السبعة التي تنزل القرآن الكريم عليها تشمل أوجه التغاير والاختلاف في الوجوه العربية ذات المعنى الواحد، والقرآن والقراءات "حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل للإعجاز والبيان والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما"³.

² ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997م) ج1، ص18.

³ الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد، تحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، تحقيق: أنس مهرة، (لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م) ص1.

ومن هنا تكمن أهمية هذا البحث في تناول قضية هامة لها تعلق بكتاب الله تعالى إذا أن شرف كل علم بشرف متعلقه، وهو موضوع الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع وبالرغم من أن موضوع الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع من المواضيع الشائكة التي لا يعرف لها قسماً من الدارسين حقيقة وأهمية، وقد ذكرها بعض علماء الأمة بأنها من المسائل المخيفة، قال الشيخ الزرقاني رحمه الله عند حديثه حول مبحث الأحرف السبعة: "هذا مبحث طريف وشائق غير أنه مخيف وشائك.."⁴ إلا أن البحث فيها لا يزال فسيحاً للباحثين، كونها قضية متجددة، وقد لمسنا من خلال التدريس لمادة القراءات أن الكثيرين من الطلبة يشكل عليهم مفهومي الأحرف السبعة والقراءات السبع، وقضية التفريق بينهما.

وقد يبدو الأمر سهلاً على الكثيرين ممن يسمعون الأحرف السبعة والقراءات السبع حيث يرون بأنه لا فرق بين كلا المصطلحين، وأن كليهما مرادف للآخر، إضافة إلى الغياب المعرفي لدى البعض بأحاديث الأحرف السبعة والقراءات مما يزيد الإشكالية في الأمر.

من هنا يأتي هذا البحث لحل الإشكالية القائمة في إيضاح الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع، وبيان أدلة ذلك من الأحاديث الصحيحة المتواترة، ومن القراءات المتواترة كذلك.

المبحث الأول التعريف بأهم المفاهيم والمصطلحات ويشمل:

⁴ الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، د.ت.)

في هذا المبحث يتناول الباحث التعريف بأهم المصطلحات التي يتركز عليها البحث، ويحاول إيضاح تلك المفاهيم المصطلحات متحاشياً للإطالة، مع الترجيح بين تلك التعريفات، واختيار الأنسب منها.

المطلب الأول: تعريف الأحرف السبعة لغة اصطلاحاً

تعريف الأحرف لغة: يعرف الإمام أبو عمر الداني الحرف فيقول: "الأحرف جمع حرف، في الجمع القليل، مثل فُلس وأفُلس، ورأس وأرؤُس"⁵، وقال ابن منظور: "الحرف من حروف الهجاء معروف واحد حروف التهجي، والحرف الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كعن وعلى ونحوهما، قال الأزهري: كل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني واسمها حرف وإن كان بناؤها بحرف أو فوق ذلك مثل: حتى وهل وبل ولعل، وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفاً تقول هذا في حرف ابن مسعود أي: في قراءة ابن مسعود ابن سيده والحرف: القراءة التي تقرأ على أوجه وما جاء في الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام: "... قال اقرأه على سبعة أحرف كلها شاف كاف"⁶ أراد بالحرف اللغة"⁷، والحرف عند النحاة: "ما جاء لمعنى لا باسم ولا فعل"⁸، ومما سبق يتضح لنا أن من معاني الحرف ما يأتي:

حد الشيء: قال ابن فارس: "فأما الحد فحرف كل شيء حده، كالسيف وغيره، ومنه الحرف، وهو الوجه تقول: هو من أمره على حرف واحد، أي طريقة واحدة قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: 11]. أي على وجه واحد، وذلك أن العبد يجب عليه طاعة ربه تعالى عند السراء والضراء، فإذا أطاعه عند السراء وعصاه عند الضراء فقد

⁵ الداني، أبو عمرو، الأحرف السبعة للقرآن، تحقيق: د. عبد المهيمن طحان، (مكة المكرمة: مكتبة المنارة، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م) ص 27.

⁶ رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم: 20425، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، باب القرآن على كم نزل حرفاً، حديث رقم: 30741.

⁷ ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر-الطبعة الأولى، د.ت) ج 9، ص 41.

⁸ انظر: سيبويه أبو بشر عمرو بن قنبر، الكتاب، ج 1، ص 2، وانظر: أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكلبيات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 1، 1419هـ/1998م) ص 616.

عبده على حرف. ألا تراه قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكُمْ هُوَ الحُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 11]⁹.

الانحراف عن الشيء: وقال ابن فارس أيضاً: "الحرف: الانحراف عن الشيء، يقال انحرف عنه ينحرف انحرافاً وحرفته أنا عنه، أي عدلت به عنه، وذلك كتحرير الكلام، وهو عدله عن جهته، قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا﴾ [النساء 46، المائدة 13]¹⁰.

تقدير الشيء: وأصل الحرف هنا من المحرف، قال ابن فارس: "وزعم ناس أن المحارف من هذا، كأنه قدر عليه رزقه كما تقدر الجراحة بالمحرف، ومن هذا الباب فلان يحرف لعياله، أي يكسب، وأجود من هذا أن يقال فيه إن الفاء مبدلة من ثاء، وهو من حرث أي كسب وجمع"¹¹.

ومما سبق من المعاني اللغوية للحرف يتضح لنا أنه في اللغة على ثلاثة أصول وهي: حد الشيء، والانحراف عنه، وتقدير الشيء، وأن الحرف يطلق على اللغة من اللغات، ويطلق على القراءة من القراءات، والحرف عند اللغويين هو ما جاء لمعنى.

السبعة لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: "السين والباء والعين أصلان مطردان صحيحان: أحدهما في العدد، والآخر شيء من الوحوش"¹²، وقال الزرقاني: "المراد بها حقيقتها وهي العدد المعروف في الآحاد بين الستة والثمانية"¹³. وعلى هذا فإطلاق السبعة قد يكون على العدد أو على جزء من العدد

⁹ ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، الطبعة

الأولى، 1399هـ / 1979م) ج2، ص 42.

¹⁰ المرجع السابق، ج2، ص 42-43.

¹¹ المرجع السابق، ج2، ص 43.

¹² المرجع السابق، ج3، ص 128.

¹³ الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة،

د.ت) ج1، ص 153.

كالتسبّع، أو على الوحوش وليست هي المقصودة هنا، وبعد أن استعرضنا معنى الأحرف والسبعة كلفظين مفردين، نأتي الآن لبيان معناه مركبين:

تعريف الأحرف السبعة

اختلف العلماء في تحديد المراد من الأحرف السبعة على عدة آراء¹⁴، ومنشأ اختلافهم هذا هو الأحاديث الواردة في الأحرف السبعة وجواز القراءة بها، والتي منها ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها فكادت أن أعجل عليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأنيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت ثم قال لي: اقرأ فقرأت فقال: "هكذا أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه"¹⁵.

وحديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف"¹⁶.

وقد اختلف فيها الناس اختلافاً عظيماً فأصلها بعضهم إلى خمسة وثلاثين قولاً¹⁷، ومنهم من ذهبها إلى خمسة عشر قولاً كما صنع ابن الجوزي.

ومنهم من عد الآراء في ذلك إلى ثمانية آراء، وسأقتصر على ذكر ستة منها تفادياً للإطالة، وإيضاحاً للمراد، مع الترجيح لأحد تلك الآراء، وبيان أسباب الترجيح.

¹⁴ وقد أوصلها السيوطي في الإتقان إلى أربعين قولاً، (انظر: السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق:

مركز الدراسات القرآنية، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط) ج1، ص309.

¹⁵ انظر: صحيح البخاري، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم: 4706.

¹⁶ انظر: صحيح البخاري، باب ذكر الملائكة، حديث رقم 3047.

¹⁷ فقد نقل هذا عن ابن حبان، ونقله عن ابن الجوزي في فنون الألفان، وأورد ذلك القرطبي في تفسيره، والسيوطي في

الاتقان في علوم القرآن.

الرأي الأول: أنها سبع لغات من لغات العرب، في المعنى الواحد، وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد أو أكثر، في أوجه سبعة من المعاني المتفقة باللفاظ مختلفة، بما يسمى بالترادف اللفظي، تقول: أقبل، وهلمّ، وتعال، وعجّل، وأسرع¹⁸. وإلى هذا القول ذهب سفيان ابن عيينة، وعبد الله بن وهب، والطحاوي، ونسبه ابن عبد البر إلى أكثر العلماء.

الرأي الثاني: وذهب بعضهم إلى أن المراد بالأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات العرب، نزل عليها القرآن، وهذا القول يختلف عن سابقه لأنه يعني أن الأحرف السبعة إنما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن، لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة مع اتحاد المعاني. وإلى هذا القول ذهب أبي عبيد، وثعلب والزهري، وآخرون، واختاره ابن عطية.

الرأي الثالث: وذكر بعضهم بأن المراد بالأحرف السبعة أنواع سبعة، والقائلون بهذا اختلفوا في الأنواع السبعة، فقال بعضهم: أمر ونهي وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، وقال بعضهم: أمر ونهي، ووعد ووعيد وجدل وقصص ومثل.

الرأي الرابع: وذهب قوم إلى أن المراد بالأحرف السبعة أوجه التغاير السبعة التي وقع فيها الاختلاف، وسيأتي ذكرها. وإلى هذا ذهب ابن قتيبة، والقرطبي، والباقلاني، وابن الجزري.

الرأي الخامس: وذهب بعضهم إلى أن العدد سبعة عدد لا مفهوم له، وإنما هو رمز لما ألفه العرب من معنى الكمال في هذا العدد، فلفظ السبعة يطلق على الكثرة والكمال في الآحاد، وإلى هذا جنح القاضي عياض ومن تبعه. وإليه ذهب مصطفى صادق الرافعي.

الرأي السادس: أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع، وحكي هذا عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، قال الزركشي: "والثاني وهو أضعفها: أن المراد سبع قراءات، وحكي عن الخليل بن أحمد والحرف هاهنا القراءة وقد بين الطبري في كتاب البيان، وغيره أن اختلاف القراء إنما هو كله

¹⁸ انظر: القطان، مناع، نزول القرآن على سبعة أحرف، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط، د.ت) ص 35.

حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهو الحرف الذي كتب عثمان عليه المصحف¹⁹.

الرأي الراجح:

لعل الرأي الراجح هو الرأي الرابع، الذي قال به فخر الدين الرازي، ويقرب منه مذهب الإمام ابن الجزري، وبه قال ابن قتيبة، والقاضي أبو الطيب، ومن المتأخرين قال به الشيخ محمد بنجيت المطيعي، والشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني²⁰.

أسباب الترجيح:

- موافقة هذا الرأي لمقتضى النصوص الواردة في هذا المعنى، والتي تقدم نصها.
- أن ما يرد عليه من المحذورات التي ترد على الأراء الأخرى يعتبر قليل أو نادر²¹.
- أن هذا المذهب يعتمد على الاستقراء التام لاختلاف القراءات، وما ترجع إليه من الوجوه السبعة، بخلاف غيره فإنه استقراء ناقص، أو في حكم الناقص²².
- أنه الرأي الذي يقبله العقل، وتطمئن إليه النفس، وعليه العمل.

المطلب الثاني: تعريف القراءات لغة واصطلاحاً

تعريف القراءات لغة:

القراءات: جمع قراءة، والقراءة في اللغة: مشتقة من مادة: (قَ رَ أ) وهي مصدر للفعل قرأ، يقال قرأ يقرأ قرأناً، وهذا اللفظ أي القرآن يستخدم للمعاني الآتية:
الجمع والضم: أي جمع وضم الشيء إلى بعضه.

¹⁹ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار إحياء

الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1376هـ-1957م) ج1، ص214.

²⁰ عبد الله، محمد محمود، الأحرف السبعة وأصول القراءات، (القاهرة: دار الصابوني، الطبعة الأولى، 1427هـ-

2006م) ص23.

²¹ انظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج1، ص57.

²² المرجع سابق، ج1، ص57.

التلاوة: وهي النطق بالكلمات المكتوبة، ومنه قولهم قرأت الكتاب أي تلوته²³.

تعريف القراءات في الاصطلاح:

للعلماء تعريفات متعددة للقراءات، سأقتصر على ذكر ثلاثة تعريف منها:

التعريف الأول: ما ذهب إليه الزركشي في البرهان، حيث قال: "القراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتنقيح وغيرها"²⁴.

التعريف الثاني: بينما يعرف ابن الجزري القراءات بقوله: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقله"²⁵.

وتعريف ابن الجزري يشمل القراءات المتواترة والمشهورة والشاذة، وذلك لأن القراءات المعزوة نقلها إما أن تكون متواترة أو مشهورة أو شاذة، إلا أن يكون قصده المتواترة فقط فالله أعلم.

التعريف الثالث: ويعرف الزرقاني القراءات بقوله: "هو مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها"²⁶.

ومما سبق من التعريفات حول مفهوم القراءات يتضح لنا أن للعلماء في تعريف القراءات مذهبان:

الأول: أن القراءات ذات مدلول واسع، فهي تشمل الحديث عن كل الألفاظ المتفق عليها والمختلف فيها. ويتضح هذا في تعريف ابن الجزري.

الثاني: أن مفهوم القراءات مقصور على الألفاظ القرآنية المختلف فيها، ونجد ذلك في تعريف الزركشي والزرقاني.

²³ انظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص128.

²⁴ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج1، ص318.

²⁵ ابن الجزري، محمد بن محمد، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، 1400هـ) ص3.

²⁶ الزرقاني، مناهل العرفان، مرجع سابق، ج1، ص412.

وكلا المفهومين وارد ومراد لا تنافي بينهما، فلفظ القراءات يطلق تارة ويراد به العلم المشهور كعرفة القراء من الصحابة ومن بعدهم، وكتب القراءات وأسماء مؤلفيها إلى غير ذلك مما يسمى بعلم الدراية، وتارة يطلق ويراد به أوجه الخلاف في اللفظة القرآنية من حيث النطق بها، وهو ما يسمى بعلم الرواية²⁷.

المطلب الثالث: حكمة إنزال القرآن على سبعة أحرف

من رحمة الله سبحانه أنه جعل التخفيف والتيسير سمة من سمات شريعة الإسلام، ولا أدل على ذلك من التعدد الذي نراه في الأحرف السبعة، والقراءات السبع، وغير ذلك من الأمور التي برزت فيها سعة الشريعة، والتيسير على الناس.

وحول هذا التيسير يقول الإمام أبو عمرو الداني: "فإنه إنما أنزل علينا توسعة من الله تعالى على عباده ورحمة لهم وتخفيفاً عنهم عند سؤال النبي صلى الله عليه و سلم إياه لهم ومراجعته له فيه لعلمه صلى الله عليه و سلم بما هم عليه من اختلاف اللغات واستصعاب مفارقة كل فريق منهم الطبع والعادة في الكلام إلى غيره فخفف تعالى عنهم وسهل عليهم بأن أقرهم على مألوف طبعهم وعادتهم في كلامهم"²⁸.

ثم دلل رحمه الله على ذلك بالحديث الذي رواه عبد الرحمن بن أبي ليلي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه و سلم: "أن الله تعالى أمره أن يقرأ القرآن على حرف فقال: رب خفف عن أمتي فأمره أن يقرأ القرآن على سبعة أحرف"²⁹.

ومن الحكم التي يمكن استنباطها ما يأتي:

²⁷ انظر: آل إسماعيل، نبيل محمد بن إبراهيم، علم القراءات، (الرياض: دار الملك عبد العزيز، الطبعة الثانية، 1423هـ-2002م) ص28 بتصرف.

²⁸ أبو عمرو الداني، الأحرف السبعة، مرجع سابق، ص31.

²⁹ انظر: علاء الدين علي بن حسام، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكرى حياني، صفاء السيد، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م) ج2، ص606.

- تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين؛ فقد كانت العرب قبائل متعددة، وكان بينها اختلاف وتباين في اللهجات واللغات وطريقة الأداء، فلو ألزمت الأمة بكيفية واحدة من كيفيات القراءة لشق ذلك على مجموع الأمة، وإن كان يخدم بعضها، وهو تحقيق لقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 17].
- إعجاز القرآن في معانيه وأحكامه، فتقلُّب الصور اللفظية في بعض الأحرف والكلمات فيه زيادة في المعنى، وفيه دلالة على الأحكام التي يستنبطها الفقهاء، كما أن في اختلاف القراءات نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز؛ إذ كل قراءة بمنزلة الآية؛ إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل.
- تعدد هذه الأحرف من خصائص هذه الأمة، ومن المناقب التي امتازت بها عن غيرها من الأمم؛ لأن كتب الأمم السابقة كانت تنزل على وجه واحد.
- أن الأحرف السبعة حفظت لغة العرب من الضياع والاندثار، فقد تضمنت خلاصة ما في لغات القبائل العربية من فصيح وأفصح.

المبحث الثاني: القراءات نشأتها وتطورها

المطلب الأول: نشأة علم القراءات

اتفق المحققون من العلماء على أن جبريل عليه السلام قد تلقى القرآن الكريم عن الله تعالى عن طريق السماع، وهذا هو المذهب الراجح³⁰، وقد نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقاً على ثلاث وعشرين سنة، ثلاث عشر سنة بمكة، وعشر بالمدينة النبوية³¹، ومنذ اللحظات

³⁰ على هذا المذهب سار أهل السنة الجماعة، وتبع هذا المذهب من المعاصرين محمد عبد العظيم الزرقاني، ومحمد أبو شهبه، ومناع القطان، محمد حسين الذهبي، وصالح البليهي، وإبراهيم على عمر، عبد الحميد إبراهيم سرحان (انظر:

الزرقاني، *مناهل العرفان*، مرجع سابق، ج 1، ص 41).

³¹ انظر: المرجع السابق، ج 1، ص 45.

الأولى من نزول القرآن والنبى صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الكرام رضوان الله عليهم القرآن، والصحابة يتلقون عنه القرآن ويعلمونه من خلفهم، ولقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يتعلم الصحابة القرآن، وحثهم على ذلك، ورغبهم فيه، لا أدل على ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الباب، وعمدتها حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خيركم من تعلم القرآن علمه"³².

وعندما قوي الإسلام أقبل الناس على تعلم القرآن من كل حذب وصوب، وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يتصدرون لتعليم هؤلاء، ففي حديث عبادة بن الصامت ما يدل على هذا حيث يقول: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم عليه الرجل مهاجراً دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن، قال فدفع إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً، وكان معي في البيت أعشيه عشاء أهل البيت وأقرئه القرآن"³³.

وقد اشتهر من الصحابة بالإقراء عدد كبير حيث كان إقراؤهم لمعاصريهم من الصحابة والتابعين، ولقد ذكر الإمام شمس الدين الذهبي في كتابه "معرفة القراء الكبار" أسماء من اشتهروا بذلك وعد منهم سبعة هم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي موسى الأشعري، وأبو الدرداء رضي الله عنهم أجمعين ثم قال بعد ذلك: "فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهم عرضاً وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة، وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة كمعاذ بن جبل وأبي زيد وسالم مولى أبي حذيفة وعبدالله بن عمر وعتبة بن عامر ولكن لم تتصل بنا قراءتهم فلهذا اقتصرنا على هؤلاء السبعة رضي الله عنهم"³⁴.

³² صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

³³ مسند الإمام أحمد، باب حديث عبادة، حديث رقم: 23437.

³⁴ الذهبي، شمس الدين، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط،

صالح مهدي عباس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1404هـ) ج1، ص42.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أنه لما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة خاف الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ضياع القرآن بضياع الحفاظ فأشار على أبي بكر بجمع القرآن في مصحف واحد، وشرح الله صدر أبي بكر لذلك ففعل.

وبمضي الزمان وتكثر الفتوحات وتوسع رقعة الدولة الإسلامية، وابتثت الصحابة في الأمصار يقرئون الناس القرآن، وكل يقرأ بحرف غير الذي يقرأ به الآخر، الأمر الذي أوشك أيضاً أن يؤدي إلى اختلاف، وكان ذلك في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي فتح أرمينيا وأذربيجان رأي حذيفة بن اليمان رضي الله عنه اختلاف الناس في ذلك فعرض الأمر على الخليفة عثمان خشية على الأمة من الفرقة والتشردم، فجاء وأذربيجان رأي حذيفة بن اليمان رضي الله عنه اختلاف الناس في ذلك فعرض الأمر على الخليفة عثمان خشية على الأمة من الفرقة والتشردم، فجاء إلى عثمان وقال له: "يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم فافعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"³⁵.

لقد كان هذا هو أول تدوين للقرآن مشتملاً على القراءات، وقد أجمع الناس على صحة الأخذ بالمصاحف العثمانية حتى عدت صحة القراءة لا بد لها من موافقة هذا الشرط إلى جانب شرط الرسم موافقة وجه من أجه اللغة العربية، مع صحة السند، ثم أخذ علم القراءات في التدوين والتطور شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى ما هو عليه في وقتنا المعاصر.

³⁵ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث رقم 4702.

لقد بدأ التدوين في علم القراءات كغيره من العلوم في وقت مبكر، إلا أن التدوين في هذا العلم لم يشتد إلا في أواخر القرن الثالث، عصر التدوين والانفتاح العلمي في شتى العلوم والفنون، ولقد كانت القراءات ولا تزال محل اهتمام العلماء قديماً وحاضراً، خاصة أولئك الذين جعلوا أنفسهم خداماً للقرآن الكريم وتفانوا في خدمة القرآن، مساهمة منهم في تحقيق الضمان الذي كفله الله سبحانه وتعالى من التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

المطلب الثاني: التطور المرحلي لعلم القراءات

إن التأليف في علم القراءات مر بعدة مراحل، منها ما يأتي:

المرحلة الأولى: المرحلة الشفوية للتلقي أو مرحلة الرواية الشفوية، من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى عام 60هـ إذ كان القرآن محفوظاً في الصدور وفي سائل المعرفة المتوفرة لديهم في ذلك الوقت³⁶. وهذه المرحلة تشمل صدر الإسلام، واستمرت حتى ظهور نقط الإعراب على يد أبي الأسود الدؤلي.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة ضبط القراءات برموز الإعراب والإعجام، وقد ظهرت هذه المرحلة أوائل محاولات التأليف في بعض فروع علم القراءات، وقد ذكر العلماء أن أول من ألف في علم القراءات هو يحيى بن يعمر، وهو أحد تلاميذ أبو الأسود الدؤلي³⁷.

وقد ذكر بعض العلماء أن أول من ألف في القراءات عبدالله بن عامر الشامي، ومنهم من ذهب إلى أن من ألف هو إبان بن تغلب الكوفي، وبعضهم قال مقاتل ابن سليمان، بينما ذهب بعضهم إلى أن أول إمام معتبر في التأليف لعلم القراءات هو أبو عمرو بن العلاء البصري، ورأى آخرون إلى أن أول من ألف في هذا العلم هو أبو عبيد القاسم بن سلام.

³⁶ ومن هذه الوسائل اللخاف، والعسيب، والكرانيف، والرقاع، والأقتاب، والأكتاف، وقطع الأديم. (انظر: صحيح

البخاري، باب جمع القرآن، حديث رقم: 6768).

³⁷ ومن ذكر ذلك الفضلي في كتابه القراءات القرآنية.

إلا أن كل ما سبق من الأقوال تفتقر إلى الدليل القاطع، وليس ثمة برهان على صدقها، وبالنظر إلى تاريخ التأليف في القراءات يتضح للناظر أن القرن الأول والثاني كان عصري حفظ فقط، وليس بعصور تدوين.

لقد كان أبو عبيد القاسم بن سلام له سبق الحظ في أنه أول إمام معتبر في التأليف في علم القراءات، وهو أول من جمعها في مؤلف واحد، وجعل خمسة وعشرين قارئاً مع القراء السبعة الذي أفردهم في كتابه "القراءات"³⁸.

قال الحافظ ابن الجزري: "فلما كانت المائة الثالثة واتسع الخرق وقل الضبط وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان من ذلك العصر تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة"³⁹.

ثم توالى المؤلفات في علم القراءات ومنها: كتاب السبعة في القراءات للإمام الحافظ أبي بكر البغدادي، كتاب الحجة في القراءات السبعة للإمام أبو علي الفارسي، وكتاب الغاية في القراءات العشر للإمام ابن مهران، وكتاب التذكرة في القراءات الثمان للإمام الطاهر ابن غلبون، وكتاب حجة القراءات للإمام بن زنجلة، وكتاب التبصرة في القراءات الثمان للإمام مكّي بن أبي طالب، وكتاب الروضة في القراءات الإحدى عشر للإمام الحسن المالكي، وكتاب التيسير في القراءات السبع للأمام أبي عمرو الداني، وكتاب حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع للإمام الشاطبي، وكتاب جمال القراء وكمال الإقراء للإمام علم الدين السخاوي، وكتاب معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام الذهبي، وكتاب النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري، ثم طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري أيضاً، وكتاب تحاف فضلاء البشر

³⁸ قال الذهبي: "ولأبي عبيد كتاب في القراءات ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله" (الذهبي، معرفة القراء الكبار، مرجع سابق، ج1، ص172).

³⁹ الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط) ص46.

بالقراءات الأربع عشر للإمام البنا الدمياطي، ثم كتاب البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة للعلامة عبد الفتاح القاضي.

وما ذكر من الكتب ليس على سبيل الحصر فإن ما ألف ودون في علم القراءات كثير وغزير، ولا يتسع المقام لتناول كل الكتب وبيان غزارة علم مؤلفيها وإمامتهم في العلم والدين.

المبحث الثالث: الفرق بين القراءات السبع والأحرف السبعة:

في هذا المبحث نستعرض أهم الفروق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع، مع ذكر أوجه التشابه بينهما، ثم نرجع على ذكر بعض الأمثلة التطبيقية التي تزيد من وضوح تلك الفروق، وتجلي اللبس الحاصل في فهم الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع، مع سلوك مسلك الاختصار في ذلك.

المطلب الأول: أوجه الاختلاف بين الأحرف السبعة والقراءات السبع

المتأمل في الأحرف السبعة والقراءات السبع يجد أن ثمة فروق بينهما من عدة نواحي، وكما سبق أن بينا ذلك من خلال التعريف، ولعل أهم الفروق التي تجعل التمايز بينهما قائماً ما يأتي:

أولاً من حيث التعريف:

الأحرف السبعة هي أوجه التغاير التي وقع فيها الاختلاف، بينما القراءات فهي اختلاف النطق بالقراءة فيما يذهب إليه إمام من أئمة القراءة مخالفاً به غيره بعزو الناقل، وعلى هذا فكل من الأحرف السبعة والقراءات السبعة مساران مختلفان من حيث التعريف.

ثانياً من حيث الشمول:

الأحرف السبعة شاملة للقراءات السبع، وللقراءات العشر، بمعنى أنها أعم من القراءات، والقراءات أخص منها، فهي مقتصرة على ما ورد في المصحف الذي جمعه عثمان فقط دون غيره مما أحرق بينما الأحرف فهي شاملة لما كتبه عثمان في جمعه ولما أحرق أيضاً.

ثالثاً من حيث العمل:

الذي يجري عليه العمل هو القراءات سواء السبعة منها أو العشرة المتواترة، بينما الأحرف السبعة فهي ما تضمنتها القراءات ليس السبعة فحسب بل العشرة المتواترة، وهي ما تضمنها أوجه التغاير التي دلت عليها الأحرف السبعة.

رابعاً من حيث العدد:

الأحرف السبعة كما نص عليها الحديث هي أحرف سبعة ولا يجوز لنا أن نقول أنها أحرف ثمانية أو عشرة لأن سبيلها التوقيف بينما القراءات فيجوز لنا القول بأنها سبعة وبأنها ستة أو ثمانية، أو عشرة، وأما ما شاع على أفهام الناس أنها سبعة فهو غير صحيح وربما اتبع الناس ما فعله ابن مجاهد لأنه أول من سبغ السبعة⁴⁰، وإلا فالقراءات يصح كونها أربعة أو خمسة أو ثلاثة.

خامساً من حيث أول من سبغها:

أول من سبغ السبعة الأحرف هو النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المتواترة، بينما القراءات السبع فإن أول من سبغها هو ابن مجاهد رحمه الله في كتابه "السبعة" وهو اجتهاد من ابن مجاهد ولا يفيد القطع، أما الأحرف السبعة فهي قطعية لأن مصدرها التوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم.

سادساً من حيث التوقيف: الأحرف السبعة سبيلها التوقيف لأن مصدرها الوحي وأذننا من الله تبارك وتعالى، بينما القراءات سبيلها التواتر لأنها تروى بالتواتر، ومنها ما هو غير متواتر فما كان منها متواتر فسيبغ التوقيف وما كان منه غير متواتر فسيبغ الرد.

سابعاً من حيث الشروط:

الأحرف السبعة ليس لها شروط معينة يمكننا من خلالها الحكم أن هذا الحرف صحيح أو غير صحيح، بينما القراءات فلها شروط معينة وهي: موافقة الرسم العثماني ولو احتمالاً، وموافقة العربية ولو وجه منها، وصحة السند.

ثامناً من حيث التواتر:

⁴⁰ انظر: الحموي، أحمد بن عمر بن محمد، القواعد والإشارات في أصول القراءات، تحقيق: د. عبد الكريم بكار،

(دمشق: دار القلم، الطبعة الأولى، 1406هـ) ص31.

الأحرف السبعة وحي من الله تبارك وتعالى، أنزل الله القرآن عليها، كما وردت بذلك الأحاديث، بينما القراءات فالبعض منها غير متواتر كما هو الحال في الأربع القراءات الشاذة، أما القراءات السبعة فهي متواترة.

تاسعاً من حيث المضمون:

الأحرف السبعة هي القرآن الكريم أو هي مضمون القرآن الكريم، بينما القراءات فهي طرق النطق بالقرآن الكريم.

عاشراً من حيث التقدم الزمني:

الأحرف السبعة متقدمة زمنياً لأنها ارتبطت بنزول القرآن وتنزله عبر فترة نزول الوحي المقسمة على ثلاث وعشرين سنة، بينما القراءات فهي متأخرة زمنياً إذ ارتبطت بجمع عثمان رضي الله عنه، ونشوء المدارس القرآنية كمدرسة عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عباس، وكذلك ارتبطت بمرحلة التدوين للعلوم، وكما نعلم أن أول من ألف في القراءات هو أبو عبيد القاسم بن سلام في القرن الثالث الهجري.

المطلب الثاني: أوجه التوافق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع.

ما ذكر من أوجه الاختلاف يفهم منه أن ما عداه هو أوجه توافق، فكل من الأحرف السبعة والقراءات السبع متعلق بالنص القرآني، وما يهمنا هنا هو بيان بعض تلك الأوجه التي يتوافق فيها الأحرف السبعة مع القراءات السبع.

أولاً من حيث التوقيف:

فالأحرف السبعة سبيلها التوقيف لأن مصدرها الوحي الإلهي بواسطة جبريل، والقراءات المتواترة كذلك سبيلها التوقيف لأن مصدرها النقل عن الوحي النبوي.

ثانياً من حيث التعلق:

كلاً من الأحرف السبعة والقراءات السبع له تعلق بكلام الله عز وجل، وإن كانت الأحرف السبعة هي عين المصحف، والقراءات هي طرق النطق به، إلا أن كليهما متعلق بكلام الله تعالى، وله صلة مباشرة باللفظة القرآنية.

ثالثاً من حيث التعبد به:

القرآن كله متعبد بتلاوته بل بالحرف الواحد منه، سواء إذا قلنا بتضمنه للأحرف السبعة أو إذا طبقنا ما فيه من القراءات والروايات والوجوه والاختيارات، فالأمر سيّان فهو متعبد بتلاوته.

رابعاً من حيث الحكمة منهما:

كلاً من الأحرف السبعة والقراءات له حكمة هي التيسير والتخفيف، رفع المشقة والحرَج عن الناس، وذلك بجواز القراءة بأي قراءة أو رواية من الروايات المتواترة بما يناسب اختلاف الناس وتعدد لغاتهم لهجاتهم.

خامساً من حيث اشتمال الرسم العثماني عليهما:

لا خلاف في أن القراءات المتواترة بمجموعها قد شملها الرسم العثماني، ولكن الخلاف في الأحرف السبعة هل شملها الرسم العثماني أم لا فعلى قول الجمهور أن المصاحف العثمانية قد تضمنت الأحرف السبعة تتفق القراءات والأحرف السبعة على اشتمال المصاحف العثمانية لهما.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية

تحتوى معظم آيات المصحف على جوانب اختلاف بين القراء في طريقة النطق بالكلمات القرآنية، هذا الاختلاف قد يكون من ناحية أصول القراءات، أو من ناحية فرش السور⁴¹، وما يعيننا هنا هو بيان الاختلاف بين القراء في النطق بالكلمات القرآنية وفق أوجه التغيرات التي تضمنها معنى الأحرف السبعة. ووفقاً للقول الراجح بأن الأحرف السبعة هي أوجه التغيرات السبعة وسوف أذكرها مع الأمثلة عليها كما ذكرها ابن الجزري في كتابه "النشر في القراءات العشر"⁴²:

الأول: الاختلاف في الإعراب بما لا يزيل صورتها في الخط ولا يغير معناها نحو قوله تعالى:
﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود:78] حيث قرأ لفظ "أطهر" بالفتح وبالضم، وقوله

⁴¹ وتعرف الأصول بأنها: القواعد الكلية التي تتكرر في سور القرآن، والتي ذكر فيها قواعد القراء وأحكامهم حال اطرادها، ويعرف فرش الحروف بأنه: النشر والبسط للحروف في مواضعها في القرآن الكريم (انظر: سيد لاشين أبو الفرج، خالد بن محمد الحافظ العلمي، تقريب المعاني في شرح حرز الأمامي في القراءات السبع، المدينة النبوية، مكتبة دار الزمان، الطبعة الرابعة، 1421هـ) ص 183-184.

⁴² انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ج 1، ص 39.

تعالى: ﴿وَهَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكُفُورُ﴾ [سبأ: 17]، حيث قرئ بـ"يجازي" بالياء، والضم في الكفور، وقرئ بـ"نجازي" بالنون، والفتح في الكفور، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [النساء: 37] حيث قرئ بـ"البخل" بفتح الخاء، وقرئ بـ"البخل" بضمها، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: 280] حيث قرئ "ميسرة" بفتح السين، وقرئ "ميسرة" بضم السين.

والثاني الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها نحو قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: 19] حيث قرئت "بعّد" بالتضعيف في العين، و"باعد" بالمد قبل العين، وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوهُ بِالْمَنَادِ﴾ [النور: 15] قرأت بإثبات "إذ" قبل "تلقونه" وبإبدالها بالواو وهذه القراءة شاذة.

والثالث: الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: 259] قرئ لفظ "نشزها" بالراء، قرئ بلفظ "نشزها" بالزاي مكان الراء.

وكقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: 23] قرئ التشديد مع الكسر في لفظ "فزع" وقرئ بالتشديد مع الفتح "فزع".

والرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها ومعناها نحو قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلِ بَاسِقَاتٍ لِّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: 10] في موضع سورة ق، وقوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: 29] في موضع آخر .

والخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِّمَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: 15] قرئ "صيحة واحدة" وقرئ "ذقية واحدة" وهي قراءة شاذة، وكقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: 5] قرئ بلفظ "كالعهن" وقرئ بلفظ "كالصوف" وهذه قراءة شاذة أيضاً.

والسادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق:19] قرئ بتقديم لفظ "الموت" على الحق، وقرئ بتأخيره وتقديم لفظ "الحق" وهذه أيضاً قراءة شاذة.

والسابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس:35] قرئ بلفظ "وما عملت" بدون الهاء، وقرئ بإثبات الهاء. وكقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد:24] قرئ بإثبات لفظ "هو" وقرئ بحذفه. وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص:23] قرئ بزيادة لفظ "أنثى" بعد لفظ "نعجة" وهذه قراءة شاذة أو قل تفسيرية.

ومما سبق من الأمثلة التطبيقية وغيرها الكثير أن الأوجه التي سبق بيانها هي المقصودة بالأحرف السبعة، وهي التي احتوتها مصاحف عثمان رضي الله عنه مما كتبه وثبت في العرصة الأخيرة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك لم ينقل لنا من الأمثلة التي جرى عليها العمل إلا ما وافق هذه السبعة الأوجه، وأما الأمثلة التي فيه تغاير الكلمة الواحدة إلى سبعة لغات أو سبعة معاني مختلفة كما سبق معنا مثل: هَلُمَّ وَأَقْبِلْ وَتَعَالَ... وغيرها فلا تصح عملاً في القراءة والإقراء بها.

الخاتمة والنتائج

الحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، هو أهل المحامد كلها، لا يحصي الخلق ثناءً عليه، فله الحمد ملئ السموات وملئ الأرض وملئ ما بينهما وملئ ما شاء من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، وكلنا له عبد...

هذا وقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

1. إن أقرب الأقوال في معنى الأحرف السبعة: أنها سبعة أوجه من وجوه التغاير، وهذا القول اختاره كثير من المحققين في هذا الشأن كأبي الفضل الرازي، وابن قتيبة، والباقلاني، وابن الجزري والسخاوي، ومكي بن أبي طالب، وأبي عمرو الداني، وغيرهم.

2. لقد تبين من خلال البحث أن حصر هذه الأوجه لا يخلو من إشكال؛ لأن مبنى ذلك على الاستقراء، وهو استقراء ناقص باعتبار أن عثمان رضي الله عنه جمع الناس على حرف واحد وهو حرف قريش، ومن ثم لم تصل إلينا جميع الأحرف السبعة، وإنما بعضها، وغاية ما هنالك أن نمثل على وجوه التغير هذه فنقول مثلاً: من ذلك: اختلاف الأسماء بالإفراد والثنية والجمع والتذكير والتأنيث، وكالاختلاف في وجوه الإعراب، والاختلاف في التصريف، وهكذا ما كان بتغيير حرف، إلى غير ذلك من الأوجه التي يحصل بها التغير.

3. إن حكمة الله تعالى في إنزال القرآن على سبعة أحرف هي التيسير والرحمة بالخلق، وهذا مقصد عظيم من المقاصد التي نزل القرآن لأجلها.

4. إن القراءات السبع هي مذهب يذهب إليه إمام بالنطق بالقراءة مخالفاً به غيره معتمداً في ذلك على عزو الناقل المتواتر، وإثبات أي القراءات . علم بكيفية النطق بالكلمات القرآنية بعد دخول التغيير عليها من ناحية الشكل فقط دون المعنى.

5. إن أمر تسبيع السبعة وحصرها في سبع قراءات أمر ليس توقيفي بل هو أمر اجتهادي من الإمام ابن مجاهد رحمه الله، ولا تعني حصر القراءات في سبعة فقط بل القراءات أكثر من ذلك فهي عشر متواترة، وهو يختلف عن تسبيع الأحرف السبعة التي سبغها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

6. إن أهم الفروق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع أن الأحرف السبعة أعم وأشمل وأوسع مفهوماً ومدلولاً من القراءات السبع.

7. إن الأحرف السبعة هي القرآن نفسه وأن القراءات السبع هي طرق نقلها الأئمة القراء وروايتهم بشكل متواتر عن كيفية النطق بكلمات القرآن حسب اللهجات والتي تضمنها الرسم العثماني في مصحف عثمان رضي الله عنه.

8. إن نشأة القراءات السبع تنبئ عن أصالة علم القراءات، وكيف حظي هذا العلم باهتمام العلماء، وأعطوه اهتماماً بالغاً من حيث التأليف والتصنيف، والبحث والتدقيق.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الجزري، محمد بن محمد، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، 1400هـ).
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997م).
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، الطبعة 1399هـ - 1979م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر - الطبعة الأولى).
- آل إسماعيل، نبيل محمد بن إبراهيم، علم القراءات، (الرياض: دار الملك عبد العزيز، الطبعة الثانية، 1423هـ - 2002م).

- الجزري، محمد بن محمد، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي محمد الضباع، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط).
- الحموي، أحمد بن عمر بن محمد، **القواعد والإشارات في أصول القراءات**، تحقيق: د. عبد الكريم بكار، (دمشق: دار القلم، الطبعة الأولى، 1406هـ).
- الداني، أبو عمرو، **الأحرف السبعة للقرآن**، تحقيق: د. عبد المهيمن طحان، (مكة المكرمة: مكتبة المنارة، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م).
- الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد، **اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر**، تحقيق: أنس مهرة، (لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م).
- الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد، **اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر**، تحقيق: أنس مهرة، (لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م).
- الذهبي، شمس الدين، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1404هـ).
- الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، (لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، 1415هـ/1995م).
- الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، د.ت).
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1376هـ-1957م).
- السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط).
- عبد الله، محمد محمود، **الأحرف السبعة وأصول القراءات**، (القاهرة: دار الصابوني، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م).

القاصح، أبو القاسم علي، سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرء المنتهي، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1401هـ).

القطان، مناع، نزول القرآن على سبعة أحرف، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط).